بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة 14\1\1425 هـ

الجزء الخامس – الخطبة رقم 24

الدعاء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ... أما بعد:

فمعاشر المسلمين كان من حكمة الله تعالى أن نوع بين العبادات زمانا ومكانا وصفة وعددا وأداء. فعبادات قولية وعبادات قلبية وعبادات فعلية وأخرى يومية وأسبوعية وحولية إلى غير ذلك من أنواعها وأعدادها.

معاشر المسلمين وإذا كانت العبادات متنوعة بحسب زمانها ومكانها وهيئتها فإن من أعظم أنواع العبادة بل هو أصلها وقاعدتها ما يتعلق بمسألة الدعاء؛ فدعاء الله تعالى يدخل تحته جميع أنواع العبادة.

ذلكم معاشر المسلمين أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة؛ فدعاء المسألة أن يسأل العبد ربه ويضرع إليه، ودعاء العبادة أن يتعبد العبد ربه بصلاته وزكاته وحجه وصيامه وسائر قرباته؛ يتعبد الله بها مضمنا ذلك طلب الخير من ربه تعالى في جلب نفع إليه أو دفع ضر عنه.

معاشر المسلمين؛ ولأن الدعاء إذا أطلق غالبا فإنما ينصرف إلى دعاء المسألة، فهناك مسائل في هذا الباب تتعلق بحكمه وأحكامه.

معاشر المسلمين؛ فمن مسائل الدعاء عظم أمره وجليل شأنه وشواهد ذلك لا تعد ولا تحصى لكنها تدخل تحت أمرين؛ أولهما: أمر الله تعالى للناس بالدعاء وحثهم على ذلك كما قال تعالى:"وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم" "ادعوا ربكم تضرعا وخفية" "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء" "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"

معاشر المسلمين: وثاني الأمرين الدالين على عظم شأن الدعاء كثرة دعاء الأنبياء عليهم السلام، وكثرة ضراعتهم إلى الله، وافتقارهم إليه مع رفيع منزلتهم وشريف مرتبتهم وأنهم أول

الناس دخولا إلى الجنة؛ فلقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم عناية الأنبياء والرسل بأمر الدعاء ولزومهم له.

- فعن آدم عليه السلام وزوجه "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"
- وعن نوح عليه السلام "رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا"
- وعن إبراهيم عليه السلام "رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء" "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع"
- وعن موسى عليه السلام "رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير"، وفي دعائه على فرعون وقومه "ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم"
- وعن أيوب عليه السلام "وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب"
- وعن زكريا عليه السلام "وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين"
- وعن عيسى عليه السلام "قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين"
- وعن شعيب عليه السلام "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين"
- وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أكثر الأنبياء دعاء، ولقد كان يعمر أوقاته بالدعاء قائما وجالسا ومضطجعا كما جاءت عنه مئات الأحاديث في ذلك.

معاشر المسلمين؛ ومن مسائل الدعاء: عقيدة ضالة في شأن الدعاء بل لازمها الطعن في مقام الأنبياء، وهذا عين الكفر والضلال؛ ذلكم لأن الطعن في الأنبياء طعن فيمن نبأنهم وأرسلهم وهو الله تعالى؛ وهذا رأس الكفر والضلال.

معاشر المسلمين؛ وبيان تلك المسألة تلبيس لبس به الشيطان على بعض الناس من المتصوفة الغلاة الذين زكوا أنفسهم وانتقصوا غيرهم فزعموا أنهم بلغوا مرتبة في الطاعة رفعت منزلتهم إلى مرتبة لا يحتاجون فيها إلى الدعاء، وأن الدعاء نقص في حقهم لازم لغيرهم، هكذا زعموا وقالوا وبئس ما قالوا "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا"؛ فمن ذا الذي يستغني عن الدعاء والله تعالى قد أمر به، ومن ذا الذي يستغني عن الدعاء وأنبياء الله ورسله أكثر الناس دعاء لله تعالى وافتقارا إليه؛ فنعوذ بالله من عقائد الزيغ والضلال.

معاشر المسلمين؛ ومن مسائل الدعاء: صدق التوجه إلى الله تعالى أثناء الدعاء؛ وبيان ذلك: أن يحسن العبد ظنه بربه تعالى وأن يستشعر قول الله تعالى:"ادعوني أستجب لكم" وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" وكذا عليه أن يستشعر قول الله تعالى في الخبر القدسي "أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن سوءا فعليه"

فلنحرص معاشر المسلمين على استحضار واستشعار تلك المعاني؛ ولندع ربنا بطمأنينة قلب وقوة يقين، وسنرى من ربنا ما تقر به العين، وما يطمئن به القلب وما ينشرح به الصدر.

معاشر المسلمين؛ ومن مسائل الدعاء: الإلحاح على الله تعالى في أثناء الدعاء وكثرة الضراعة إليه؛ فكثرة الإلحاح والضراعة اعتراف يقيني بالافتقار إليه وزوال الحول والقوة إلا به، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلح على ربه في الدعاء، وهذا من كمال إيمانه صلى الله عليه وسلم وعظيم ثقته بربه فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم دعا ربه حتى سقط رداؤه من على كتفيه، وقد ورد في الحديث:"إن الله يحب الملحين في الدعاء" أخرجه الطبراني بسند ضعيف جدا لكن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك.

معاشر المسلمين؛ ومن مسائل الدعاء: ذكر المحامد بين يدي الدعاء وهذا ما يسميه العلماء بتقديم الرسائل بين يدي المسائل، ومرادهم بالرسائل ما يسبق الدعاء من تمجيد الله والثناء عليه، وأما المسائل فهي جمل الدعاء ولذا كانت الفاتحة أعظم سور القرآن الكريم، وقد تضمنت هذا الأمر لعظيم أثره في الدعاء وبيان ذلك أن جمل الثناء والتمجيد هي قوله تعالى:"الحمد لله رب العالمين❖الرحمن الرحيم❖مالك يوم الدين❖إياك نعبد وإياك نستعين" وبعد هذا الثناء الذي علمه الله تعالى عباده جاءت جمل الدعاء:"اهدنا الصراط المستقيم"، وعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: دخل رجل فصلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل علي ثم ادعه" ثم دخل رجل آخر فصلى فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:"أيها المصلي ادع تجب" أخرجه أبو داود والترمذي.

اللهم أعنا على ذكرك، أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

معاشر المسلمين؛ ومن مسائل الدعاء: عدم استبطاء الإجابة وعدم طلب التعجل في الإجابة ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول:دعوت فلم يستجب لي" خ.م. وفي رواية عند مسلم قال صلى الله عليه وسلم:" لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم"؛ قيل يا رسول الله: ما الإستعجال؟ قال:يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أره يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء" ففي ذلك سوء أدب مع الله تعالى واعتراض على حكمته بل قد يحرم نفسه لتعجله، ذلكم ان العبد مأمور بالدعاء بتحصيل شروطه واجتناب موانعه فإذا تم له تحصيل الشروط وانتفاء الموانع فليسلم الأمر إلى الله تعالى وليعلم علم اليقين أن الله لطيف بعباده وأن الله تعالى أرحم بالعبد من أمه وأبيه، وأن جميع أفعال الله تعالى لحكمة، وعليه فتأخير إجابة دعوته من حكمة الله تعالى وعدله، وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق:"فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء". قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:(معنى يستحسر: ينقطع) ثم قال: (وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام إظهار الافتقار) فتح الباري 11-141

وقد ضرب الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى مثلا جميلا لمن انقطع عن الدعاء لما استبطأ الإجابة فقال:(ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرا أو غرس غرسا فجعل يتعاهده ويسقيه فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله) الجواب الكافي ص10، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

معاشر المسلمين؛ فتحصل لنا من تأخير إجابة الدعاء فوائد كثيرة منها: التأدب مع الله تعالى والتسليم والانقياد لحكمه وحكمته، والاستمرار في الدعاء والضراعة له تعالى والتلذذ بمناجاة الله تعالى والافتقار إليه.

معاشر المسلمين؛ ومن لازم القول المتعلق بهذا الأمر أن إجابة دعوة العبد لا تكون بالضرورة تحصيلا لمقصوده الذي طلبه من ربه، ؛ فقد يحصل له من المنافع بدعوته أفضل مما أراد حصوله بذاته، وبيان ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم:"ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من سوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" أخرجه أحمد والترمذي، وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في

الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر، قال: "الله أكثر" أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه) الفتح 11-95، ومن جميل الشعر في عدم استعجال الإجابة ما ذكره ابن قتيبة عن بعضهم أنه قال في دعوة استبطأ إجابتها فلم يقنط ولم يعجل فقال:

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي	محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ	لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط	بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها	إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا وفدت لم يردد الله وفدها	على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنني	أرى بجميل الظن ما الله صانع

عيون الأخبار 2 - 286\287

اللهم ارزقنا حسن الظن بك.